

الكتب والفقرات المعروفة
في علوم ودور الشريعة برسوخ

العجائب

تَنْبِيْهِ النَّاسِ الْعَمِيَّةِ عَلَى مَوَاسِيْرِ الْعَمِيَّةِ

تَأَلِيفُ

زَيْنَةَ الْوَاعِظِينَ وَدُرَّةَ النَّاصِحِينَ

الإمام عبد الرحمن بن الجوزي

(٥٠٨ - ٥٩٧ هـ)

تَحْقِيقُ وَتَعْلِيقُ

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْعَجْمِيِّ

دار النشر الإسلامية

الكتب والله عز وجل في سورة
في جملة مع وفور الطيبين برمس
العجينة

تبيين الناموس العجينة على مؤامير العجينة

تأليف

زينة الواعظين ودرة الناصحين

الإمام عبد الرحمن بن الجوزي

(٥٠٨ - ٥٩٧ هـ)

تحقيق وتعليق

محمد زين العابدين العجمي

دار النشر الإسلامية

المدرسة التي قُرِيَّ فيها الكتاب المدرسة العُمريّة

أسس الإمام أبو عمر بن قدامة المقدسي المدرسة العمريّة سنة (٥٥٧هـ) تقريباً في الصالحية بدمشق، وكان يطلق عليها اسم الشيخة لأنها أكبر مدارس دمشق؛ وذلك لكثرة شيوخها وطلّابها، وتعدّدت فيها دروس العلم كحفظ القرآن وعلومه، ورواية الحديث، وتدرّس الفقه على المذاهب الأربعة مع العناية الخاصّة بالفقه الحنبلي، وبلغ من مكانتها العالية عند الحكام أنه إذا دخل إليها غريم لا يعاقب.

قال ابن عبد الهادي: «هذه المدرسة عظيمة، لم يكن في بلاد الإسلام أعظم منها»، وكان فيها مكتبة تُعدُّ أكبر مكتبة على الإطلاق في دمشق.

تَبَيَّنَ النَّاسُ الْعَمْرِيَّةَ

عَلَى مَوَاقِفِ الْعَمْرِيَّةِ

الصورة التي في الغلاف
تمثل منبر الجامع الأموي الأنور
وأرضية الكتاب بخط ابن الجوزي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

شركة دار البشائر الإسلامية

للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.

أسرها الشيخ رزي رشيقه رحمه الله تعالى سنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

بيروت - لبنان ص.ب: ١٤/٥٩٥٥ هاتف: ٧٠٢٨٥٧

فاكس: ٧٠٤٩٦٣/٠٩٦١١ .. e-mail: bashaer@cyberia.net.lb

ابن الجوزي
زينة الواعظين وذرة الناصحين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لا إله إلا الله عدة للقاءه

الحمد لله على سوابغ نعمه، والصلاة والسلام على سيّد رسله،
وعلى آله وصحبه وحزبه.

أما بعد:

فقد أجمعت كتب التراجم على مكانة الإمام جمال الدّين
أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الشهير بابن الجوزي، المتوفى سنة
(٥٩٧هـ)، وعلوّ رتبته في الوعظ والعناية بأعمال القلوب.

فهو إمام هذا الميدان وفارسه الذي لا يشق له فيه غبار، ولا يلحق
شأوه فيه، وقد لان له الوعظ كما يلين الحديد في يد صانعه والعارف
به، فإنه «الحافظ الواعظ، أحد أفراد العلماء، برز في علوم كثيرة،
وانفرد بها عن غيره، وجمع المصنّفات الكبار والصغار، وتفرد بفنّ
الوعظ الذي لم يسبق إليه، ولم يلحق شأوه فيه، وفي طريقته

وشكله، وفي فصاحته وبلاغته وعضوته، وحلاوة ترصيعه، ونفوذ وعظه»^(١).

وكان يحضر مجلسه الكبار والصغار، فقد «كان ذا حظٍّ عظيم وصيِّبٍ بعيدٍ في الوعظ، يحضر مجالسه الملوك والأمراء والوزراء، وبعض الخلفاء والأئمة الكبراء»^(٢).

و «أقلّ ما كان يحضر في مجلسه عشرة آلاف، وأوقع الله له في القلوب القبول والهيبة، وكان زاهداً في الدُّنيا، متقلِّلاً منها»^(٣).

وذلك لأنه: «... كان رأساً في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق، والنثر الفائق بديهاً، ويُسهب ويعجب ويغرب ويطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثله، فهو حامل لواء الوعظ والقيِّم بفنونه، مع الشكل الحسن، والصوت الطيِّب، والوقع في النفوس وحُسن السيرة»^(٤).

«وحاصل الأمر أن مجالسه الوعظية لم يكن لها نظير، ولم يُسمَع بمثلها، وكانت عظيمة النفع: يتذكر بها الغافل، ويتعلم منها الجاهلون، ويتوب فيها المذنبون، ويُسلم فيها المشركون،

(١) ابن كثير: «البداية والنهاية» (١٣/٣١، ٣٢).

(٢) الذهبي: «سير أعلام النبلاء» (٢١/٣٧٠).

(٣) نقله ابن العماد في: «شذرات الذهب» (٤/٣٣٠) عن سبطه أبي المظفر.

(٤) الذهبي: «سير أعلام النبلاء» (٢١/٣٦٧).

ويتسنن فيها المبتدعون»^(١).

وخير من يصف لنا هذه المواعظ البليغة والمجالس الغربية العجيبة هو من حضرها ووصفها لنا وصفاً دقيقاً كأننا نسمعها ونراها، ألا وهو المؤرِّخ الرَّحَّالَة الأندلسي ابن جبير حينما مرَّ ببغداد - دار السلام - وهو حاج، حيث سجَّل لنا هذه المجالس بدقة متناهية، فقال:

«شاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد، وفي جوف الفراء كل الصيد، آية الزمان، وقرّة عين الإيمان، رئيس الحنبلية، والمخصوص في العلوم بالرتب العلية، إمام الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهود له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة، مالك أزمة الكلام في النظم والنثر، والغائص في بحر فكره على نفائس الدرِّ، فأما نظمه فرَضِيَّ الطباع مهيارِي الانطباع^(٢)، وأما نثره فيصدع بسحر البيان، ويعطل المثل بقسّ وسحبان.

ومن أبهر آياته، وأكبر معجزاته، أنه يصعد المنبر، وبيئدي القراء بالقرآن، وعددهم نيّف على العشرين قارئاً، فينتزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القراءة، يتلونّها على نسق بتطريب وتشويق، فإذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات إلى أن يتكاملوا قراءة، وقد أتوا بآيات مشتبهات،

(١) صدِّيق حسن خان: «التاج المكلل» (ص ٦٧).

(٢) رضي الطباع: أي أنه شبيه في طبعه بالشريف رضي الشاعر، ومهيارِي: أي أنه يشبه مهيار الديلمي، الشاعر المعروف أيضاً.

لا يكاد المتقد الخاطر يحصيها عدداً، أو يسميها نسقاً، فإذا فرغوا أخذ الإمام الغريب الشأن في إيراد خطبته، عَجَلًا مبتدراً، وأفرغ في أصداف الأسماع من ألفاظه دُرراً، وانتظم أوائل الآيات المقروءات في أثناء خطبته فقرأ، وأتى بها على نسق القراءة لها، لا مقدماً ولا مؤخراً.

ثُمَّ أكمل الخطبة على قافية آخر آية منها، فلو أن أبدع مَنْ في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك، فكيف بمن ينتظمها مُرتجلاً، ويورد الخطبة الغراء بها عَجَلًا، ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتَ لَا بُصْرَةَ﴾ ﴿١٥﴾ [الطور: ١٥]، ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْأَمِينُ﴾ ﴿١٦﴾ [النمل: ١٦]، فحدّث ولا حرج عن البحر وهيئات، ليس الخبر عنه كالخبر!

ثُمَّ إنه أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ وآيات بيّنات من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقاً، وذابت بها الأنفس احتراقاً، إلى أن علا الضجيجُ، وتردد بشهقاته الشиж، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح، كل يلقي ناصيته بيده، ويمسح على رأسه داعياً لها، ومنهم من يُغشى عليه، فيرفع في الأذرع إليه، فشهدنا هولاً يملأ النفوس إنابةً وندامة، ويذكرها هول يوم القيامة.

فلو لم نركب ثَبَجَ البحر، ونعتسف مفازات القفر إلا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل، لكانت الصفقة الرابعة، والوجهة المفلحة الناجحة، والحمد لله على أن مَنْ بقاء مَنْ يشهد الجمادات بفضله، ويضيق الوجود عن مثله . . .

وفي أثناء مجلسه ذلك يتدرون المسائل ، وتطير إليه الرقاع ، فيجواب أسرع من طَرْفَةِ عَيْنٍ . وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل ، والفضل بيد الله يؤتيه مَنْ يَشَاءُ ، لا إله سواه .

ثُمَّ شاهدنا مجلساً ثانياً له ، بكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفر ، بباب بَدْرٍ في ساحة قصور الخليفة ، ومناظره مُشْرِفة عليه .

وهذا الموضع المذكور هو من حرم الخليفة ، وخصَّ بالوصول إليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفةُ ووالدتهُ ومن حضر من الحُرَمِ .

ويُفْتَحُ الباب للعامة فيدخلون إلى ذلك الموضع ، وقد بُسِطَ بالحُصْرِ .

وجلوسه بهذا الموضع كل يوم خميس .

فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور ، وقعدنا إلى أن وصل هذا الحَبْرُ المتكلم ، فصعد المنبر ، وأرخى طيلسانه عن رأسه تواضعاً لحرمة المكان ، وقد تسطرَّ القراء أمامه على كراسي موضوعة ، فابتدروا القراءة على الترتيب ، وشوّقوا ما شاءوا ، وأطربوا ما أرادوا ، وبدرت العيون بإرسال الدموع .

فلما فرغوا من القراءة ، وقد أحصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات ، صدع بخطبته الزهراء الغراء ، وأتى بأوائل الآيات في أنثائها منتظمات ، ومشى الخطبة على فقرة آخر آية منها في

الترتيب إلى أن أكملها، وكانت الآية: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتِهِ لِيَتَسَكَّنُوا فِيهِ وَالتَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ﴾ [غافر: ٦١]، فتمادى على هذا السنين^(١)، وحسن أي تحسين، فكان يومه في ذلك أعجب من أمسه.

ثم أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته، وكنى عنها بالستر الأشرف، والجناب الأزاف.

ثم سلك سبيله في الوعظ، كل ذلك بديهة لا روية؛ ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقروءات على النسق مرة أخرى.

فأرسلت وابلها العيون، وأبدت النفوس سر شوقها المكنون، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين، وبالتوبة مُعلنين، وطاشت الأبواب والعقول، وكثر الوكّه والذهول، وصارت النفوس لا تملك تحصيلاً، ولا تمير معقولاً، ولا تجد للصبر سبيلاً.

ثم في أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب مبرحة التشويق، بديعة الترفيق، تشعل القلوب وجداً، ويعود موضعها النسيبي زهداً. وكان آخر ما أنشده من ذلك، وقد أخذ المجلس مأخذه من الاحترام، وأصابت المقاتل سهام ذلك الكلام:

أين فؤادي أذابه الوجدُ وأين قلبي فما صحا بعدُ
يا سعدُ زدني جوَى بذكرهم بالله قل لي فديت يا سعدُ

(١) أي في الكلام المسجوع بحرف السين.

ولم يزل يُرَدِّدها والانفعال قد أثر فيه، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه، إلى أن خاف الإفحام، فابتدر القيام، ونزل عن المنبر دَهْشاً عَجَلًا، وقد أطارَ القلوبَ وَجَلًا، وترك الناس على أحرّ من الجمر، يشيِّعونه بالمدامع الحُمْر. فمن مُعَلِّين بالانتحاب، ومن متعفِّرٍ في التراب. فيا له من مشهدٍ ما أهولَ مرآه، وما أسعد من رآه!

وفي أول مجلسه أنشد قصيداً نير القبس، عراقِي النَّفس، في الخليفة، أوله:

في شُغْلٍ مِنَ الْغَرَامِ شَاغِلٍ مَن هَاجَهُ الْبِرْقُ بَسْفِحِ عَاقِلٍ
يقول فيه عند ذكر الخليفة:

يا كَلِمَاتِ اللَّهِ كُونِي عُوذَةً مِنَ الْعَيُونِ لِلْإِمَامِ الْكَامِلِ
ففرغ من إنشاده وقد هزَّ المجلسَ طَرَبًا.

ثم أخذ في شأنه وتمادى في إيراد سحر بيانه. وما كنا نحسب أن متكلماً في الدنيا يُعْطَى من ملكة النفوس والتلاعب بها ما أُعْطِيَ هذا الرجل، فسبحان من يخصّ بالكمال من يشاء من عباده، لا إله غيره.

وشاهدنا بعد ذلك مجالس لسواه من وُعاظ بغداد ممن نستغرب شأنه، بالإضافة إلى ما عهدناه من متكلمي الغرب.

وكنّا قد شاهدنا بمكة والمدينة، شرفهما الله، مجالس من قد ذكرناه في هذا التقييد، فصغرت، بالإضافة لمجلس هذا الرجل الفذّ، في نفوسنا قدراً، ولم نستطع لها ذكراً.

وأين تَقَعَانِ مما أريد، وشَتَانِ بين اليزيديين^(١)، وهيهات! الفتیانُ كثير، والمثل بمالكٍ يسير! ونزلنا بعده بمجلس يطيب سماعه، ويروق استطلاعُه.

وحضرنا له مجلساً ثالثاً، يوم السبت الثالث عشر لصفري، بالموضع المذكور بإزاء داره على الشطّ الشرقي، فأخذت معجزاته البيانية مأخذها، فشهدنا من أمره عجباً؛ صعّد بوعظه أنفاس الحاضرين سُحْباً، وأسأل من أدمعهم وإبلاً سَكْباً، ثمّ جعل يردّد في آخر مجلسه أبياتاً من النسيب شوقاً زهدياً وطرباً، إلى أن غلبته الرقة فوثب من أعلى منبره وإلهاماً مكتئباً، وغادر الكلّ متندماً على نفسه متتجباً، لهفان ينادي: يا حسرتاً واحرباً، والنادبون يدورون بنحيبهم دَوْرَ الرحي، وكلّ منهم بَعْدُ من سَكْرته ما صَحَا، فسبحان من خلقه عبرةً لأولي الألباب، وجعله لتوبة عباده أقوى الأسباب، لا إله سواه»^(٢).

* وهذه المواهب والعطايا التي وهبها المولى له مبنية على عدّة أشياء، والتي منها:

١ - ورعه وتديّنه وصلته بربه وكثرة عبادته، وعنايته بكتاب الله الكريم وإعراضه عمّا يشغله عن ذلك:

فإنه: «كان زاهداً في الدنيا متقللاً منها، وما مازح أحداً قطّ، ولا لعب مع صبي، ولا أكل من جهة لا يتيقن حلّها، وما زال

(١) مثل متزع من البيت المشهور لربيعة الرقي:

لشتان ما بين اليزيديين في الندى يزيد سليم والأغر بن حاتم

(٢) «رحلة ابن جبير» (ص ١٩٦ - ٢٠٠ ط دار صادر).

على ذلك الأسلوب إلى أن توفاه الله تعالى»^(١).

وعليه فلا عجب إذا قيل عنه: «ابن الجوزي يمثل لنا زهد ابن حنبل»^(٢).

«وكان يختم في كل أسبوع ختمة»^(٣).

ولذا تراه يقول في مناجاته لربه: «إلهي! لا تُعَدِّب لساناً يُخبر عنك، ولا عيناً تنظر إلى علوم تدل عليك، ولا قدماً تمشي إلى خدمتك، ولا يداً تكتب حديث رسولك، فبعزتك لا تدخلني النار؛ فقد عَلِمَ أهلها أَنِّي كُنْتُ أَذْبُ عن دينك»^(٤).

ومع هذا فقد كان يقول لنفسه: «احذري من الإخلاق إلى صورة العلم مع ترك العمل به، فإنها حالة الكسالى الزمّنى»^(٥).

٢ — قوة ذاكرته، وسرعة حفظه، وحضور بديهته:

فإنه قد رزق ذهنًا حاضرًا وذاكرة وقادة، فحفظ القرآن الكريم، وكثيراً من كتب السنّة كـ «الصحيحين»، و «المسند الأحمدي»، وقد وصفه العلماء بالحفظ وكثرة الاطلاع على متون الحديث، ومشاركته في كل علم^(٦).

(١) «شذرات الذهب» (٣٣٠/٤) لابن العماد نقلاً عن سبط ابن الجوزي.

(٢) من تصدير محققة كتاب «سلوة الأحران» له (ص ١١).

(٣) «طبقات المفسرين» للداودي (١/٢٨١).

(٤) «شذرات الذهب» لابن العماد (٣٣٠/٤).

(٥) «صيد الخاطر» له (ص ١١٩، ١٢٠).

(٦) «سير أعلام النبلاء» (٢١/٣٦٧، ٣٧٣).

وغير ذلك من المواهب التي يطول المقام فيها مما نحن بصدد
تجليته، ألا وهو ميدان الوعظ، وقد رأيت من المناسب أن أسوق لك
جوانب من مواعظه الغالية، وشذرات من عُرر كلماته الزاهية التي تفرّد
بها، فخذ هذه الغرر من الدرر.

* * *

قَبَسَاتُ لَامِعَةٍ وَكَلِمَاتُ جَامِعَةٍ
من لطائف مواعظه

● معلوم أنَّ الواعظ طيب لأُمراض الذنوب، ومصلح لأمزجة القلوب، فإذا رأى يائساً مئاه، أو آمناً خوَّفه، فهو يقاوم الأمراض بأضدادها^(١).

● التخويف سوط يسوق النفس عن ديار الكسل، وما تظنّه تعذيب تهذيب، ورب تقويم بالكسر، ...^(٢).

● اعلم أنَّ الرياضة للنفس تكون بالتلطف والتنقل من حال إلى حال، ولا ينبغي أن يؤخذ أوَّلاً بالعنف ولكن بالتلطف، ثم يمزج الرغبة والرغبة، وقد كان بعض السلف يشتهي الحلواء فيعدّها لنفسه، فإذا صلّى بالليل أطعمها، وما زال المحققون يلففون بنفوسهم إلى أن ملكوها فقهروها...^(٣).

(١) «المقلق» له (ص ٢٨).

(٢) «اللطائف في الوعظ» له (ص ١٣٧).

(٣) «الطب الروحاني» له (ص ٥٨).

● أسمعوا نصيحة مَنْ قد جَزَبَ وخَبِرَ، إنه بقدر إجلالكم لله عزَّ وجلَّ يجلُّكم، وبقدر تعظيم قدره واحترامه يُعظِّم أقداركم ويحترمكم.

ولقد رأيت — والله! — مَنْ أنفق عمره في العلم إلى أن كَبِرَتْ سِنُهُ، ثُمَّ تعدَّى الحدود فهان عند الخلق، وكانوا لا يلتفتون إليه مع غزارة علمه وقوَّة مجاهدته.

ولقد رأيت مَنْ كان يراقب الله عزَّ وجلَّ في صبوته — مع قصوره بالإضافة إلى ذلك العالم — فعظَّم الله قدره في القلوب حتى علقته النفوس، ووصفته بما يزيد على ما فيه من الخير^(١).

● الهوى يسري بصاحبه في فنون، ويخرجه من دار العقل إلى دائرة الجنون، وقد يكون الهوى في العلم فيخرج صاحبه إلى ضد ما يأمر به العلم، وقد يكون في الزهد فيخرج به إلى الرياء...^(٢).

● ومما يهوِّن الهوى أن يتفكر الإنسان في نفسه، فيعلم أنه لم يخلق لموافقة هواه، فإن الجمل يأكل أكثر منه، والعصفور يسافد أكثر، والبهائم مطلقة في محبوباتها من غير حصر ولا يشوبهم غمّ، فلما نقص حظَّ الآدمي من الشهوات، ثُمَّ شبيبت بالنقص علم أنه لم يخلق لذلك^(٣).

(١) «صيد الخاطر» له (ص ٢٢٩).

(٢) «ذمُّ الهوى» له (ص ١٢، ١٣).

(٣) «الطب الروحاني» (ص ٨، ٩).

● إخواني، إلى كم تماطلون بالعمل؟! وتطمعون في بلوغ الأمل، وتغتترون بمنحة المهمل، ولا تذكرون هجوم الأجل؟

ما ولدتم فللتراب، وما بنيتم فللخراب، وما جمعتم فللذهاب، وما عملتم ففي كتاب مدّخر ليوم الحساب:

ولو أنّنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي
ولكنّا إذا متنا بعثنا ونسأل بعده عن كل شيء^(١)

● عجباً لك، لا الدهر يعظك، ولا الحوادث تنذرك، والساعات تعد عليك، والأفعال تعد منك، وأحب أمرئك إليك، أعودهما بالضرر عليك^(٢).

● ما رأيت أكثر أذى للمؤمن من مخالطة من لا يصلح، فإنّ الطبع يسرق، فإن لم يتشبه بهم، ولم يسرق منهم، فتر عن عمله. وإنّ رؤية الدنيا تحثّ على طلبها، وقد رأى رسول الله ﷺ سترأ على بابه فهتكه وقال: «ما لي وللدنيا»، وكذلك رؤية أرباب الدنيا ودورهم وأحوالهم^(٣).

● يا هذا، الأيام ثلاثة: أمس قد مضى بما فيه، وغد لعلك لا تدركه، وإنما هو يومك هذا، فاجتهد فيه، والله درّ من تنبّه لنفسه، وتزوّد لرسمه، واستدرك ما مضى من أمسه قبل طول حبسه^(٤).

(١) «بحر الدموع» له (ص ٤٢).

(٢) «المدهش» له (ص ٢٦١).

(٣) «صيد الخاطر» (ص ٣٦٣).

(٤) «التبصرة» له (١/١٥٣).

● أعجب الأشياء، اغترار الإنسان بالسلامة، وتأميله الإصلاح فيما بعد. وليس لهذا الأمل منتهى، ولا للاغترار حدّ.

فكلما أصبح وأمسى معافى زاد الاغترار، وطال الأمل.

وأيّ موعظة أبلغ من أن ترى ديار الأقران، وقبور المحبوبين، فتعلم أنك بعد أيام مثلهم، ثمّ لا يقع انتباه حتى ينتبه الغير بك، هذا - والله - شأن الحمقى، حاشا من له عقل أن يسلك هذا المسلك.

بل - والله - إن العاقل ليبادر السلامة، فيدخر من زمنها للزمن، ويتزوّد عند القدرة على الزاد لوقت العسرة^(١).

● كم أفسدت الغيبة من أعمال الصالحين، وكم أحبطت من أجور العاملين، وكم جلبت من سخط رب العالمين.

فالغيبة فاكهة الأردلين، وسلاح العاجزين، مضغة طالما لفظها المتقون، نعمة طالما مجّها أسماع الأكرمين.

فرحم الله امرءاً لم يفسد عبادةً يهديها إلى حضرة العزيز الرحيم، بلقمة حرام تعقب طعام الزقوم، وشراب الحميم، فهي كلمة ما استحلاها إلاّ طبع لئيم^(٢).

● عقاربُ المنايا تلسعُ، وخَدْرانُ جسمِ الآمالِ يَمْنَعُ، وماءُ الحياة في إناءِ العمر يَرشَحُ^(٣).

(١) «صيد الخاطر» (ص ٢٩١).

(٢) «التذكرة في الوعظ» له (ص ١٢٤).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٣٧١/٢١).

● يا مؤخراً توبته بمطل التسويف، لأي يوم أجّلت، كنت تقول
إذا شبت تبت .

فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت، ففي كلّ يوم تضع قاعدة
الإنبابة ولكن على شفا جُرف، كلما صدقت لك في التوبة رغبة حملت
عليها جنود الهوى حملة فانهزمت .

ويحك تعطر بالاستغفار، فقد فضحتك روائح الذنوب .

اذبح حنجرة الهوى بسكين العزيمة، فما دام الهوى حيّاً فلا تأمن
قلْبَ قَلْبِكَ .

● اكتب بمداد الدمع حُسنَ الظنِّ إلى مَنْ يَحَقُّقُه، ولا تقنع في
توبتك إلاّ بمكابدة حزن يعقوب أو بصبر يوسف عن الهوى، فإن لم تطغ
فبذلّ إخوته يوم: ﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ۗ ﴾^(١) .

● الأيام تُبسط ساعاتٍ، والساعات تبسط أنفاساً، وكل نفس
خزانة، فاحذر أن يذهب نفس بغير شيء، فترى في القيامة خزانة فارغة
فتندم^(٢) .

● العلم والعمل توأمان، أمُّهُمَا عَلُوُّ الهِمَّةِ .

أيُّها الشاب! جوهرُ نفسِكَ بدراسة العلم وحلِّها بحلية العمل، فإن
قبلت نصحي لم تصلح إلاّ لصدرٍ سرير، أو لذرورة منبر .

(١) «اللطيف في الوعظ» لابن الجوزي (ص ١٥، ١٦) .

(٢) «لفتة الكبد» له (ص ١٤) .

مَنْ لم يعمل بعلمه لم يدْرِ ما معه، حامل المسك إذا كان
مزكوماً فلا حظَّ له فيما حمل، بحر قلب العالم يقذف إلى ساحل اللفظ
جواهر النطق. فتلتقطها أكفُّ الفهم، تالله أنَّ العالم لخاتم خنصر
الدهر.

العلماء غرباء في الدنيا لكثرة الجهال بينهم، تصنيف العالم ولده
المخلد، العالم علم.

أيُّها المعلم تثبت على المبتدئ، وقدِّر في السرد، فالعالم رسوخ،
والمتعلم قلق^(١).

ثُمَّ مسك الختام وختام المسك:

● الإخلاص مسكٌ مصونٌ في مسك القلب، ينبه ريحه على
حامله.

العمل صورةٌ والإخلاص روح، إذا لم تُخلص فلا تتعب،
لو قطعت سائر المنازل لم تكن حاجاً إلاً بشهود الموقف، ولا تغترَّ
بصورة الطاعات، فإن خصم الإخلاص إذا جاء عند حاكم الجزاء ألزم
الحبس عن القبول، سوق الإخلاص رائحة رابحة ليس فيها كساد،
المخلص يعدُّ طاعته لاحتقارها عَرَضاً، وقلم القبول قد أثبتتها في حيز
الجوهر^(٢).

* * *

(١) «اللفظ في الوعظ» (ص ٤٣).

(٢) المصدر السابق (ص ٢٧).

تلك جولة في رحاب زينة الواعظين، ودرة الناصحين الإمام ابن الجوزي، وقد ألمعت فيها إلى جانب واحد من جوانب حياته العلمية^(١) المزدحمة بجلائل العلم، ولم أُشر إلى مؤلفاته التي أربت على الأربعمئة، وإنما ذكرت هذا الجانب الذي فاق فيه الأقران والشيوخ، ألا وهو الوعظ؛ ومع ذلك فقد زار بغداد أحد الوعظاء الغرباء فأقبل أهل بغداد عليه وهو لا يبلغ بلاغ ابن الجوزي في العلم والوعظ، ولكن المُعاصرة والمساكنة حجابٌ ساتر؛ فقال ابن الجوزي هذه الأبيات الأبيات معروضاً ببعض بني قومه^(٢):

عَذِيرِي مِنْ فْتِيَةِ بِالعِرَاقِ	قَلُوبُهُمْ بِالْجَفَا قَلْبُ
يَرُونَ العَجِيبَ كَلَامَ الغَرِيبِ	وَقَوْلُ القَرِيبِ فَلَا يُعْجِبُ
مِيزَانِيهِمْ إِنْ تَنَدَّتْ بِخَيْرِ	إِلَى غَيْرِ جِيرَانِهِمْ تُقَلِّبُ
وَعَذْرُهُمْ عِنْدَ تَوْبِيخِهِمْ	(مُغْنِيَةِ الحَيِّ مَا تَطْرِبُ)

ومع هذا فلم يضره هذا الإعراض وما زاده إلا رفعةً وعلوًّا وتخليداً لمؤلفاته:

فَمَضَى وَقَدْ أَبْقَى مَآثِرَهُ وَمِنَ الرِّجَالِ مُعَمَّرُ الذِّكْرِ

* * *

(١) أشرتُ إلى الجوانب المضيئة العلمية في حياة ابن الجوزي في تقديمي لكتابه الآخر «حفظ العمر» فانظره إن شئت.

(٢) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/١٤١)، و«الخطاط ابن البواب» للعلامة محمد بهجة الأثري (٢/١٨).

وصف النسخ المعتمدة في نشر هذه الرسالة

اعتمدتُ في تحقيقي لهذه الرسالة على ثلاث نسخ خطية ومطبوعة:

الأولى: نسخة دار الكتب الظاهرية بدمشق - حرسها الله تعالى - ضمن مجموع برقم (٣٧٦٥ عام/٢٨ مجاميع)، وتقع في (٨) ورقات، وعدد الأسطر فيها (٢٠) سطراً، وهي بخط نسخي معتاد، وعليها سماع على طرّة الكتاب سنة (٧٦٦هـ)^(١)، ولم يكتب اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.

الثانية: نسخة دار الكتب المصرية برقم (٢٣٨٠)، وتقع في (٦) ورقات، وعدد الأسطر فيها (٢٣) سطراً، وهي بخط نسخي معتاد، وقد كان الانتهاء من نسخها سنة (١٠٩٨هـ)، ولم يكتب اسم الناسخ^(٢).

(١) ولم يكن السماع الذي فيها واضحاً، مع رؤيتي للأصل المخطوط، اللّهُمَّ إلا تاريخ السماع وذكر أنه بسفح قاسيون، وقد ذكر الأستاذ ياسين السواس في «فهرس مجاميع العمريّة» (ص ١٤٦) هذه النسخة حيث يقول: «نسخة قديمة عليها سماعات، وهي مصححة، أضرت بها الرطوبة والأرضة، وهي من كتب المدرسة العمريّة».

(٢) وقد جاد عليّ بتصوير هذه النسخة أخي الغالي الشيخ مهدي الحرازي اليماني، المقيم في القاهرة، فجزاه الله عنّي خير الجزاء.

الثالثة: نسخة شسترتي، وهي برقم (٣١٠١) ضمن كتاب ابن طولون «الأحاديث المسموعة في مدارس دمشق» من ورقة (٥٢) - (٥٤)، وقد ذكرها كلها مع اختصار ويسر، وقرأها على شيخه ابن عبد الهادي، وهي بخطه.

الرابعة: النسخة المطبوعة في مطبعة الجوائب باستنبول سنة (١٣٠٢هـ) ضمن مجموعة رسائل.

هذا وقد عنيت بهذه الرسالة، ولم أعتد على نسخة بعينها؛ وإنما لفقت بين الجميع مثبتاً ما رأيت أنه أقرب إلى الصواب، مع الاعتماد الكلي على نسخة الظاهرية، ولم أذكر الفروق حتى لا ينشغل القارئ بذلك؛ فإن الرسالة وعظية توجيهية، وقمت بتخريج ما فيها من الأحاديث، وعزو الأقوال التي فيها بقدر الاستطاعة مع الترجمة لهم في الغالب.

* * *

نماذج من صور المخطوطات
المعتمدة في التحقيق

شرف العبد وقبيلته ^{التي} يفرض في لحظة منه ^{التي} فليس العبد
 في حراسة بطاعته ^{التي} وليتورد الشرح الخاق ^{التي} وليتظن المزم ^{التي} ان ^{التي}
 لو طرقت ساكنة ^{التي} معا لله وانكم بعلومنا ^{التي} ^{التي}
 ولا نسلمنا وانكم فهمونا ^{التي} ومنعنا ما سألنا واهلنا ^{التي} فوايد
 ولا جعلنا علما حجة علينا انه ولي ذلك والفار ^{التي} دعا
 بحر الكتاب وكلمته وجهه وصلى الله على سيدنا محمد
 وعلى آله وصحبه وسلم

ادعبر للايام بلمكري السابعة على فوائدها
 دعاء يوم السبت اللهم انسلط بامرنا ما نريد
 ولا محط لما سئنا ولا بأس لما نحت وات الذي
 بحان المراد ^{التي} الدنيا في سلال من اصطفيت
 لعاديل وحديث ^{التي} ان قالوا اهل من ^{التي} لا اهل
 لجزل لو انا اذا انت لا جعلنا من يعول عند
 السؤال من كمال فبناك له ديت واحلنا
 دار كرامتنا ليهده من عجاب صعل ما اعد رب
 واعين وارر ماله او ولحا البطر الى وجه
 الكرم ادا حلسا اولمايك واقربت وارر فم
 اعسام الطاعات في الساعات والسعيد من
 انحت العاكيل واخذت والسبا القضايك

الكتب والأقوال المفروضة
في جملة مع وفور الطهارة برسيم
الجميلة

تبيين النام الغم على مواضع العبد

تأليف

زينة الواعظين ودرة الناصحين

الإمام عبد الرحمن بن الجوزي

(٥٠٨ - ٥٩٧ هـ)

تحقيق وتعليق

محمد بن ناصر بن عبد الرحمن بن الجوزي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رَبِّ يَسِّرْ بِيَخَيْرٍ يَا كَرِيمُ، وَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ

قال الشيخ، الإمام، الحافظ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي الجوزي - عفا الله عنه، وغفر لنا وله ولجميع المسلمين:

الحمد لله الذي جعل الأعمار مواسم، يربح فيها ممثل المراسم^(١)، ويخسر المضيع الخير الحاسم، فهي موضوعة لبلوغ الأمل، ورفع الخلل، وافرقة زائدة الأرباح لمن اتجر، مهلكة الأرواح لمن فجر، الحسنه بعشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف وأكثر، والسيئة ترد المستقيم إلى حال مكدر معتر.

وبهذا العمر اليسير يشتري الخلود الدائم في الجنان، والبقاء الذي لا ينقطع كبقاء الرحمن، ومن فرط في العمر وقع في الخسران، فواخية المفرط الحيران.

فينبغي للعاقل أن يعرف قدر عمره، وأن ينظر لنفسه في أمره، فيغتنم ما يفوت استدراكه، وربما حصل بتضييعه هلاكه.



(١) أي: القائم بفعل الأمور.

باب:
ذِكْرَ مَوَاسِمِ الْعُمُرِ

فاعلم - وفقك الله - أنَّ مواسم العمر خمسة:

* الموسم الأول: من وَقْتِ الْوِلَادَةِ إِلَى زَمَانِ الْبُلُوغِ، وَذَلِكَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً.

* وَالْمَوْسِمُ الثَّانِي: مِنْ زَمَانِ بُلُوغِهِ إِلَى نِهَائَةِ شِبَابِهِ، وَذَلِكَ خَمْسٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً.

* وَالْمَوْسِمُ الثَّلَاثُ: مِنْ ذَلِكَ الزَّمَانِ إِلَى تَمَامِ خَمْسِينَ سَنَةً، وَذَلِكَ زَمَانُ الْكُهُولَةِ، وَقَدْ يُقَالُ: كَهَلٌ لِمَا قَبْلَ ذَلِكَ.

* وَالْمَوْسِمُ الرَّابِعُ: مِنْ بَعْدِ الْخَمْسِينَ إِلَى تَمَامِ السَّبْعِينَ، وَذَلِكَ زَمَانُ الشَّيْخُوخَةِ.

* وَالْمَوْسِمُ الْخَامِسُ: مَا بَعْدَ السَّبْعِينَ إِلَى نِهَائَةِ آخِرِ الْعُمُرِ، فَهُوَ زَمَانُ الْهَرَمِ.

وَقَدْ يَتَقَدَّمُ مَا ذَكَرْنَا مِنَ السَّنِينَ وَيَتَأَخَّرُ، فَلْتَرَسُمُهَا خَمْسَةَ أَبْوَابٍ.



الباب الأول في ذكر الموسم الأول

اعلم أنّ هذا الموسم يتعلّق معظمه بالوالدين، فهما يربّيانه، ويعلمّانه، ويحملانه على مصالحه، فلا ينبغي أن يفترأ عن تأديبه وتعليمه، فإنّ: «التعليم في الصّغر، كالنّقش في الحجر»^(١).

قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحریم: ٦]، قال: «علّموهم وأدّبوهم»^(٢).

فيعلمّانه الطهارة والصلاة، ويضربانه على تركها إذا بلغ عشر سنين، ويحفّظانه القرآن، ويُسَمِّعانه الحديث، وما احتمل من العلم أمرأه به.

(١) روي ذلك في حديث لا يصح من حديث أبي الدرداء: أخرجه الطبراني في «الكبير» كما في «مجمع الزوائد» للهيتمي (١/١٢٥)، وفيه مروان بن سالم الشامي متروك الحديث.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/٤٦٤)، وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٨/٦٥٩): «رواه ثقات».

ويقبَّحان عنده القبيح، ويَحَسِّنان عنده المليح، ويحثَّانه على
المكارم على قدر ما يحتمل؛ فإنه موسم الزرع^(١).

قال الشاعر:

لَا تَسْهُ عَنْ أَدَبِ الصَّغِيرِ وَإِنْ شَكَ أَلَمَ التَّعَبِ
وَدَعِ الْكَبِيرَ لِشَأْنِهِ كَبِرَ الْكَبِيرُ عَنْ الْأَدَبِ

وقال آخر:

إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوْمَتَهَا اعْتَدَلَتْ وَلَا يَلِينُ إِذَا قَوْمَتَهُ الْحَشَبُ
قَدْ يَنْفَعُ الْأَدَبُ الْأَحْدَاثَ فِي مَهَلٍ وَلَيْسَ يَنْفَعُ فِي ذِي الشَّيْبَةِ الْأَدَبُ

وكان عبدُ الملك بنُ مروان يحب ابنه الوليد، ولا يأمره بالأدب،
فخرج لَحَانًا^(٢)، فقال: أضرَّ حُبُّنا بالوليد.



(١) قال المصنف رحمه الله: «أقوم التقويم ما كان في الصغر، فأما إذا ترك الولد وطبعه

فنشأ عليه ومَرَنَ كان ردهً صعباً». «الطب الروحاني» له (ص ٦٠).

(٢) أي: يلحن في كلامه، ولا يقيم قواعد النحو فيه.

فصل

وقد يُرْزَقُ الصَّغِيرُ الصَّبِيُّ ذَهْنًا مِنْ صَغْرِهِ، فَيَتَخَيَّرُ لِنَفْسِهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنبياء: ٥١]، فذكر في التفسير: أنه كان ابن ثلاث سنين، فقال للكوكب والقمر والشمس ما قال، إلى أن قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

فإذا عَبَّرَ الصَّبِيُّ الْخَمْسَ سَنِينَ، بَانَ فَهْمُهُ وَنَشَاطُهُ فِي الْخَيْرِ، وَحَسَنَ اخْتِيَارَهُ لِنَفْسِهِ، وَصَلَفَ نَفْسَهُ عَنِ الدُّنْيَا، أَوْ عَكْسَ ذَلِكَ.

مَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى صَبِيَّانٍ وَهَمَّ يَلْعَبُونَ، فَتَفَرَّقُوا مِنْ هَيْبَتِهِ، وَلَمْ يَبْرَحْ ابْنُ الزَّبِيرِ، فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ لَمْ تَبْرَحَ؟ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا الطَّرِيقُ ضَيِّقَةٌ فَأَوْسَعَهَا لَكَ، وَلَا لِي ذَنْبٌ فَأَخَافُكَ.

وقال الرشيد لولد وزيره وهو في دارهم: أيُّما أحسن، دارنا أو داركم؟

فقال: دارنا، قال: ولم؟ قال: لأنك فيها.

ويتبيّن فهم الصبي وعلوّ همّته وقصرها باختياراته لنفسه، فإنّ الصبيان تجتمع للّعب، فيقول العالي الهمة: من يكون معي؟ ويقول القاصر الهمة: مع من أكون؟ ومتى فاقت الهمة، وعلتْ همّة الصبي، أثر العلم.



فصل

فإذا راهق الصبي فينبغي لأبيه أن يزوجه، فقد جاء في الحديث: «مَنْ بَلَغَ لَهُ وَلَدٌ، وَأَمَكْتُهُ أَنْ يُزَوِّجَهُ، فَلَمْ يَفْعَلْ، وَأَحَدَتْ الْوَالِدُ، كَانَ الْإِثْمُ بَيْنَهُمَا»^(١).

والعجبُ من الوالد كيف لا يذكر حاله عند المراهقة، وما لقي وما عانى بعد البلوغ، أو كان قد وقع في زلة، فليعلم أن ولده مثله.

قال إبراهيم الحربي^(٢): أصل فساد الصبيان بعضهم من بعض.

(١) أخرجه المصنف في كتابه الآخر «ذم الهوى» (ص ٢٨١)، وإسناده ضعيف مسلسل بالضعفاء، فإن فيه جبارة بن المغلس، ومندل بن علي، ويحيى بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة، وكلهم ضعفاء.

(٢) هو الإمام الجليل الصالح إبراهيم بن إسحاق الحربي، أحد أئمة الحديث واللغة، وكان ذا صلة عظيمة بالإمام أحمد بن حنبل؛ قال: صحبته عشرين سنة صيفاً وشتاءً، وحرّاً وبرداً، وليلاً ونهاراً، فما لقيته إلا وهو زائدٌ عليه بالأمس، ولقد كان يقدم أئمة العلماء من كل بلد، وإمام كل مِصرٍ، فهُمْ بِجَلَالَتِهِمْ، ما دام الرَّجُلُ مِنْهُمْ خَارِجاً عَنِ الْمَسْجِدِ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ صَارَ غُلَاماً مُتَعَلِّمًا. (طبقات الحنابلة ١/٩٢، ٩٣).

وقوله هذا ذكره المصنف في «ذم الهوى» (ص ١١٦)، ومن لطائف كلماته قوله: =

ويندر شابٌّ يُؤثر العلمَ على النكاح، ويعلم من نفسه الصبر،
ويأمن على نفسه؛ فإنَّ أحمد بن حنبل رضي الله عنه لم يتزوَّج إلَّا بعد
الأربعين^(١).



= «ليس كلُّ غَنِيَّةٍ جَفْوَةٌ، ولا كل لقاءٍ مودَّةً، وإنما هو تقارب القلوب». (سير أعلام
النبلاء ١٦٨/٩)، توفي رحمه الله تعالى سنة (٢٨٥هـ).
(١) انظر: «مناقب الإمام أحمد» للمصنف (ص ٣٧٣).

الباب الثاني
في الموسم الثاني
وهو من زمان البلوغ إلى منتهى الشباب

في ذكر الموسم الثاني، وهو من زمان البلوغ إلى منتهى الشباب.

وهذا هو الموسم الأعظم الذي يقع فيه جهاد النفس والهوى وغلبة الشيطان.

وبصيانة هذا الموسم يحصل القرب من الله عز وجل، وبالتفريط فيه يقع الخسران العظيم، وبالصبر فيه عن الزلل يُثنى على الصابرين، كما أثنى الله فيه على الصابر يوسف الصديق؛ إذ لو زلّ من كان يكون^(١)؟

(١) قال المصنف في كتابه الآخر «صيد الخاطر» (ص ١٩٦): «قرأت سورة يوسف عليه السلام، فتعجبت من مدحه عليه السلام على صبره، وشرح قصته للناس، ورفع قدره بترك ما ترك، فتأملت خبيثة الأمر، فإذا هي مخالفة للهوى المكروه، فقلت: واعجبا! لو وافق هواه من كان يكون؟ ولما قد خالفه لقد صار أمراً عظيماً يضرب به الأمثال بصبره، ويفتخر على الخلق باجتهاده. وكل ذلك قد كان بصبر ساعة، فيا له عزاً وفخراً».

قال النبي ﷺ: «عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ شَابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبَوَةٌ»^(١).
ويقول الله عزَّ وجلَّ: «أَيُّهَا الشَّابُّ التَّارِكُ شَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي! أَنْتَ
عِنْدِي كَبَعُضٍ مَلَأْتِكْتِي»^(٢).



(١) أخرجه أحمد (١٥١/٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٧٤٩)، والرويانى في «مسنده» (٩٦/١، ٩٧)، والطبرانى في «الكبير» (٣٠٩/٧) من حديث عقبه بن عامر بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١١٩٤/٣) من حديث ابن مسعود، وضعفه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٢٣٢/١).

فصل

وليعلم البالغ أنه من يوم بلوغه قد وجب عليه معرفة الله تعالى بالدليل لا بالتقليد، ويكفيه من الدليل رؤية نفسه، وترتيب أعضائه، فيعلم أنه لا بدّ لهذا الترتيب من مرتبٍ، كما أنه لا بدّ للبناء من بانٍ، ولا بدّ لهذا البناء من باب^(١).

ويعلم أنه قد نزل ملكان يصحبانه طول عمره، يكتبان عمله، ويعرضانه على الله تعالى، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١١﴾ كِرَامًا كَثِيرِينَ ﴿١٢﴾ يَتْلُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢].

قال محمد بن الفضل^(٢): منذ أربعين سنة ما أملت على كاتبٍ سيئةً، ولو فعلت ذلك لاستحييت منهما.

(١) ولا شك أنه لا يحصل إلا بمعرفة الوحي الكريم المنزل على نبيه ﷺ، فإنه بعث داعياً إلى الله ومنذراً ومبشراً ومعرفاً بالله عزّ وجلّ، للمزيد انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العزّ (ص ٦).

(٢) قال الحافظ الذهبي (سير أعلام النبلاء ١/٥٢٣): «الإمام الكبير العلامة، شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن الفضل بن العباس البلخي الواعظ»، ومن لطائف كلماته: «أنزل نفسك منزلة من لا حاجة له فيها ولا بدّ له منها؛ فإن من ملك نفسه عزّ، ومن ملكته ذلّ». انظر: «صفة الصفوة» للمصنف (٤/١٦٥) والقول المذكور فيه.

فليُنظرِ العبدُ فيم يرتفع من عمله، فإن زلَّ فيرفع الزلل بتوبه واستدراك.

ولِيغضَّ طرفه، فقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]، وقيل: «النظرُ إلى محاسنِ المرأةِ سهمٌ مسمومٌ من سهامِ الشيطانِ، مَنْ تَرَكَهُ ابتغاءَ مَرْضَاتِي آتَيْتُهُ إيمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ»^(١).

ومَنْ استعمل الغضَّ سلم، فليكتفِ بالمرأةِ الواحدة، ولا يترخَّصْ لنفسه في كثرة الاستمتاع بالنساء، فإنه يشتت القلب، ويضعف القوى، وليس لذلك منتهى.

فائدة: كان بعض السلف يقول لنفسه: ما هاهنا إلا هذه الكسرة، وهذه المرأة، فإن شئتِ فاصبري أو فموتي.

وكان خلق كثير من الأشياخ يتأسَّفون في حالة الكِبَرِ على تضييع موسم الشباب، ويكون على التفريط فيه، فليُطلِ القيام من سيقعد، وليُكثر الصيام من سيعجز.

والناس ثلاثة: مَنْ استكثر عمره بالخير، ودام عليه، فذلك من الفائزين، ومن خلَّط وقصَّر، فذاك من الخاسرين، ومن صاحب التفريط والمعاصي، فذاك من الهالكين.

(١) أخرجه الحاكم (٣١٣/٤، ٣١٤)، والطبراني في «الكبير» (١٠٣٦٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢٩٣) وإسناده ضعيف، قال الحافظ الذهبي: «إسحاق وإه، وعبد الرحمن الواسطي ضعّفوه».

فليُنظر الشاب في أيِّ مقام هو، فليس لمقامه مثل، وليتلمح شرف بضاعتها وثمرتها المستوفى بالصبر، فإنَّ الساعي يصبر عن زوجته مع كونه شاباً شديداً الشبق ليسبق، فيقال له: أحسنت، فليصبر الشاب ليقال له: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]، وليحذر زلَّه في الشباب، فإنها كعَيْبٍ قبيح في سلعة مستحسنة.

ومن زلَّ من الشباب، فليُنظر أين لذَّتها، وهل بقي إلاَّ حسرتها الدائمة التي كلما خطر ذكرها للقلب تألم، فصار ذكرها للقلب عقوبة.

ومن خرق ثوب التقى ببيع بالخلق والمكسور.

قال أبو القاسم الجنيد^(١) رضي الله عنه: لو أقبل عبد على الله عزَّ وجلَّ ألف سنة، ثمَّ أعرض عنه لحظة واحدة، كان الذي فاته أكثر مما حصل له^(٢).

وكان بعض السلف رحمه الله يقول: وددتُ لو أنَّ يدي قُطعت، وعُفي لي عن ذنوب الشباب^(٣).

قال المصنف: وقلت يوماً في الوعظ: أيُّها الشاب! أنت في بادية، ومعك جواهر نفيسة تريد أن تَقْدُمَ بها بلد الجزاء، فاحذر أن يتلقَّاك غرار الهوى، فيشتري ما معك بدون ثمن، فإنك إذا قدمت البلد،

(١) هو الجنيد بن محمد النهاوندي، انظر أخباره في: «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢٥٥/١٠ - ٢٨٧)، و «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٤/٦٦ - ٧٠).

(٢) «الحلية» لأبي نعيم (٢٧٨/١٠).

(٣) هو أبو بكر بن عيَّاش؛ كما في «الحلية» لأبي نعيم (٨/٣٠٤).

فرأيت الراحين، قلت: ﴿بَحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، هيهات أن يرد الأسف ما سلف.

ومما قلت في هذا المعنى من الأبيات:

وبه ضلالُ الجاهلِ المُتَمَرِّدِ	أَمَّا الشَّبَابُ فَظُلْمَةٌ لِلْمُهْتَدِي
الصَّوْمِ الطَّوِيلِ فَإِنَّهُ كَالْمِبْرَدِ	فَاقْمَعُهُ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ وَدُمَّ عَلَى
وَاحْفَظْهُ حِفْظَ الْجَوْهَرِ الْمُتَبَدِّدِ	وَإِكْفُفْ لِسَانَكَ عَن فُضُولِ كَلَامِهِ
بِحَلَالِ مَا حَصَلَتْ تُحْمَدُ فِي غَدِ	وَإِغْضُضْ جُفُونَكَ عَن حَرَامِ وَاقْتَنَعْ
يَا نَفْسُ هَذَا مَوْسِمٌ فَتَزَوَّدِي	وَدَعِ الصَّبَا فَاللَّهُ يَحْمَدُ صَابِرًا
فَأَثْبِتْ وَغَالِطِ شَهْوَةَ لَمْ تَرْقُدِ	الصَّبْرُ عَن شَهَوَاتِ نَفْسِكَ نَوْمَةٌ ^(١)
يَا سَعْدُ تَسَعُدُ بِالْمَعَاشِ الْأَرْغَدِ	تُحْمَدُ هُنَاكَ إِذَا هَوَاكَ تَرَكْتَهُ
إِنَّ الْمَفَاخِرَ فِي الطَّرِيقِ الْأَبْعَدِ	إِنْ شِئْتَ نَيْلَ الْفَخْرِ فَاصْبِرْ وَاصْطَبِرْ



(١) في طبعة الجوائب: توبة.

الباب الثالث
في الموسم الثالث
وهو حال الكهولة

هذا الزمان فيه بقية من الشباب، وللنفس فيه ميل إلى الشهوات، وفيه جهاد حسن، وإن كانت طاقات الشيب تُرع وتزعج عن مهاد اللهو، وليكتف الكهل بنور الشيب الذي أضاء له سبيل الرحيل، وليعامل بالبقية المائلة إلى الهوى يربح، ولكن لا كربح الشباب.

قال الشافعي رحمه الله فيمن أتى امرأة وهي حائض: إن كان في أول الحيض، فعليه دينار، وإن كان في آخره، فنصف دينار، وهذا لأنه كان في أوله قريب عهد بالجماع ولا يعذر، وفي آخره قد بُعد عهده به فخفف عنه، وقال هذا القول أحمد بن رؤبة.

ومما قلته في هذا المعنى:

قَدْ رَأَيْتُ الْمَشِيبَ نَوْرًا تَبَدَّى
كَانَ نَوْرُ الشَّبَابِ عَارِيَّةً عِنْدَ
جَاءَنِي نَاصِحٌ أَتَانِي نَذِيرٌ
نورَ الطَّرِيقِ ثُمَّ مَا إِنْ تَعَدَى (١)
بِئَاضِ أَرَانِي الْأَمْرَ جَدًّا
بِئَاضِ أَرَانِي الْأَمْرَ جَدًّا

(١) كذا في الأصول وفيه خلل.

وَنَجْدًا يَا سَعْدُ وَاهْجُرْ سَعْدَى
تَ رَبِيعٌ ضِيعَتْ فِيهِ الْوَرْدَا
كَ فَمَا إِنَّ يِرَاكَ يَزْحَمُ عَبْدَا

وله أيضاً:

وَالْغُصْنُ يَهْتَزُّ وَالصَّبْرُ رُودٌ^(١)
أَسْوَدُ غَابٍ فَغَابَتْ فِيهِ الشُّودُ
رُ الْمَشِيبِ فَالَلَّيْلُ عَنْهُ مَطْرُودُ
وَمَالَ بَعْدَ اسْتِقَامَةِ عُودُ
عُمُرٍ يَسِيرٌ وَالسَّيْرُ مَعْدُودُ
هَيْهَاتَ بَابُ الْبَقَاءِ مَسْدُودُ
وَالْجَهْلُ فَاشٍ وَالْقَلْبُ جُلْمُودُ

وله أيضاً:

أَمْ هَلْ أَرَى نُجُومَهُ طَوَالِ الْعَا
جَدَّدَ حُزْنَاً أَنْقَضَ الْأَضَالِعَا
لَعَلَّ مَا يَبْقَى يَكُونُ نَافِعَا
سُرْعَانَ مَا فُطِمْتُ فِيهِ رَاضِعَا
رُصِّعَ بِالذَّرِّ يَذْمُ الرَّاصِعَا
وَذَهَبَتْ أَيَّامُهُ ضَوَائِعَا

دَعْ حَدِيثَ الصَّبَا وَرَامَةَ وَالْغُورِ
وَتَزَوَّدْ زَادَ الشُّتَاءِ فَقَدْ فَآ
قِفْ عَلَى الْبَابِ سَائِلاً عَفْوَ مَوْلَا

عِشْتُ وَظِلُّ الزَّمَانِ مَمْدُودُ
فَأَقْبَلَ الشَّيْبُ فِي عَسَاكِرِهِ
قَدْ كُنْتُ فِي ظُلْمَةٍ فَأَشْرَقَ فَجْ
قَدْ يَيْسَ الْغُصْنُ فِي نَضَارَتِهِ
وَجَاءَكَ الْمَوْتُ فَانْتِظِرْهُ وَذَا الْ
لَا بُدَّ مِنْ مُزْعِجٍ عَلَى غَرَرِ
السَّمْعِ قَدْ صُمَّ عَنْ مَوَاعِظِهِ

أَهْلٌ يَعُودُ مَا مَضَى لِي رَاجِعَا؟
إِذَا تَذَكَّرْتُ زَمَانًا مَاضِيًا
بَادِرٌ بَدِي الْبَاقِي وَأَدْرِكُ مَا مَضَى
كَانَ الصَّبَا لَهْوًا عَجِيبًا حَالُهُ
مَا خِلْتُ قَبْلَ الشَّيْبِ أَنَّ مَفْرِقًا
يَا حَسْرَتِي عَلَى زَمَانٍ قَدْ مَضَى



(١) الرود: الريح اللينة الهبوب.

الباب الرابع
في الموسم الرابع
وهو الشيخوخة

وقد يكون في أول الشيخوخة بقية هوى، فيثاب الشيخ على قدر صبره، وكلما قوي الكِبَرُ، ضعفت الشهوة، فلا يراد الذنب، كما قال الشاعر:

تَارَكَكَ الذَّنْبُ فَتَارَكَتَهُ بِالْفِعْلِ وَالشَّهْوَةُ فِي الْقَلْبِ
فَالْحَمْدُ لِلذَّنْبِ عَلَى تَرْكِهِ لَأَنَّكَ فِي تَرْكِكَ لِلذَّنْبِ

فإذا تعمّد الشيخ ذنباً، فكأنه مراغم؛ إذ الشهوة المطالبة قد خرست.

ولهذا قال رسول الله ﷺ: «أَبْغَضُ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ شَيْخُ زَانٍ»^(١).

ومنهم من كأنه يقصد المراغمة، فيلبس الشيخ خاتم الذهب.

(١) أخرجه بنحوه النسائي (٨٦/٥)، وابن حبان (٥٥٥٨ - الإحسان)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٥٨/٩) من حديث أبي هريرة، وإسناده صحيح.

فالويل كل الويل لمن لم ينهه شبيهه عن عيبه، وما ذاك إلاً لخلل في إيمانه^(١).

وقد يقول الشيخ العالم: علمي يدفع عني، وينسى أن علمه حجة عليه^(٢).

(١) قال المصنف في كتابه: «صيد الخاطر» (ص ٢٣٦): «أشد الناس بلهاً وتغفيلاً من عبر الستين وقارب السبعين، — فإن ما بينهما هو معترك المنايا، ومن نازل المعترك استعد — وهو مع ذلك غافل عن الاستعداد.

والله! إن الضحك من الشيخ ما له معنى، وإن المزاح منه بارد المعنى. وإن تعرضه للدنيا — وقد دفعته عنها — يضعف القوى ويضعف الرأي. وهل بقي لابن الستين منزل؟! فإن طمع في السبعين، فإنما يرتقي بعناء شديد؛ إن قام دفع الأرض، وإن مشى لهث، وإن قعد تنفس، ويرى شهوات الدنيا ولا يقدر على تناولها:

فإن أكل كدّ المعدة، وصعب الهضم، وإن وطىء آذى المرأة، ووقع دنفاً — أي مريضاً — لا يقدر على رد ما ذهب من القوة إلى مدة طويلة. فهو يعيش عيش الأسير.

فإن طمع في الثمانين، فهو يزحف إليها زحف الصغير:

وعشر الثمانين من خاضها

فإن الملمات فيها فنون

فالعاقل من فهم مقادير الزمان».

(٢) قال المصنف في «صيد الخاطر» (ص ١٣٩): «رأيت جماعة من العلماء يتفسّحون — أي يتوسّعون — ، ويظنون أن العلم يدفع عنهم، وما يدرون أن العلم خصمهم، وأنه يُعْفَر للجاهل قبل أن يغفر للعالم، فتفكرت: فإذا العلم الذي هو: معرفة الحقائق، والنظر في سير القدماء، والتأدّب بأداب القوم، ومعرفة الحق وما يجب له، ليس عند القوم.

وإنما عندهم صور ألفاظ يعرفون بها ما يحل وما يحرم، وليس كذلك العلم النافع؛ إنما العلم:

فهم الأصول، ومعرفة المعبود وعظمته وما يستحقّه.

وقد رأي بعض مشايخنا في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وهو معرضٌ عني، فقيل له: غَفَرَ لكَ، وأعرض عنك؟ فقال: نعم، وعن جماعة من العلماء لم يعملوا بعلمهم.

وقد رأيت بعض مشايخنا وكان مُفَرِّطاً، وهو عريان، وقد تعلق بثدييه ثلاثة كلاب صغار، والجَرُّو منها يمصُّ ثدييه.

وقد رأي يحيى بن أكرم^(١) بعد موته في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: قال ربِّي: يا شيخ السوء.

ورئي منصور بن عمّار^(٢) أيضاً في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: قال لي: يا شيخ السوء^(٣).

وقال الفضيل^(٤): يُغْفَرُ للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر

والنظر في سيرة الرسول ﷺ وصحابته، والتأدّب بآدابهم، وفهم ما نقل عنهم. العلم النافع: هو الذي يدع أعظم العلماء، أحقر عند نفسه من أجهل الجهال». (١) ذكره الحافظ ابن حجر في «التقريب» (ص ٦٨٢) وقال: «القاضي المشهور، فقيه صدوق، إلا أنه رُمي بسرقة الحديث، ولم يقع ذلك له...». توفي سنة (٥٢٤٢هـ).

(٢) هو منصور بن عمّار السلمي. قال الذهبي: كان عديم النظير في الموعدة والتذكير. ثم ذكر أنّ الأئمة ضعفوا حديثه. «سير أعلام النبلاء» (٩٣/٩)، و«الميزان» (١٨٧/٤) للذهبي.

(٣) الرؤى والمنامات لا تقام عليها عقائد وأحكام، وبأنّ فلاناً شيخ خير أو سوء.

(٤) هو الإمام الثقة العابد المتألّه الفضيل بن عياض، قال عنه الإمام عبد الله بن المبارك: ما بقي على ظهر الأرض عندي أفضل من الفضيل بن عياض، وعنه أنه قال: إذا نظرتُ إلى الفضيل جدّد لي الحزن، ومقتٌ نفسي، ثمّ بكى، وقال =

للعالم ذنبٌ واحدٌ^(١). قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩].

قال أبو الدرداء: ويل لمن لا يعلم ولا يعمل مرة واحدة،
وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات^(٢).

وقال: أخوف ما أخاف أن يقال لي: علمت؟

فإن قلت: لا، فقد علمت، وإن قلت: نعم، لم يبق آيةُ امرأةٍ
ولا ناهيةٌ إلاَّ وبَّختني^(٣).

قال المصنف رحمه الله تعالى: ومما قلته في ذكر الشيب:

غُرِرْنَا بِالشَّبَابِ المُسْتَعَارِ	أفقنا بالمشيبِ مِنَ الخُمَارِ
أَنَارْنَا المَشِيبُ سَبِيلَ رُشْدِ	وَنَدَّمْنَا عَلَى خَلْعِ العِذَارِ
فَوَا أَسْفَا عَلَى عُمُرٍ تَوَلَّتْ	لِذَاذْتُهُ وَأَبْقَتْ قُبْحَ عَارِ
فَنَحْنُ اليَوْمَ نَبْكِ مَا فَعَلْنَا	فَكَيْفَ وَكَمْ وَقَعْنَا فِي خَسَارِ
فَلَيْسَ لَنَا سِوَى حُزْنٍ وَخَوْفِ	وَنَدْبٍ فِي خُضُوعِ وَأَنْكِسَارِ
تَعَالَوْا نَبِّكِ مَا قَدْ كَانَ مِنَّا	وَقُومُوا فِي الدِّيَاجِي بَاعْتِدَارِ

= إبراهيم بن أشعث: رأيت سفيان بن عيينة يُقَبَّلُ يَدَ الفُضِيلِ مرتين. (سير أعلام النبلاء ٤٢٤/٨، ٤٣٨).

ومن غرر كلماته: «كفى بالله مُحِبًّا، وبالقرآنِ مُؤَنِّسًا، وبالموتِ واعظًا، وبخشيةِ اللهِ علمًا، وبالاعتذارِ جهلاً».

(١) «الحلية» لأبي نعيم (١٠٠/٨).

(٢) «الحلية» (٢١١/١).

(٣) «الحلية» (٢١٣/١، ٢١٤).

مِنَ الْأَحْزَانِ وَالذَّمْعِ الْغِزَارِ
إِذَا غُودِرْتَ فِي بَطْنِ الصَّحَارِي
تُرَافِقُكَ النَّدَامَةُ فِي الْقِفَارِ
وَأَنْتَ تَصِيحُ وَيَلِي وَافْتِقَارِي
تَرْحُلُهُ إِلَى تِلْكَ الدِّيَارِ
فَمَا بَعْدَ الْعَشِيَّةِ مِنْ عَرَارِ

وَمَا شَيْءٌ لِمَحْوِ الذَّنْبِ أَوْلَى
سَتَدْرِي يَا مُفَرِّطُ صِدْقَ قَوْلِي
وَخَلَاكَ الرَّفِيقُ أَسِيرَ فَقْرٍ
وَقَدْ فَازُوا بِمَا حَازُوا جَمِيعاً
فَخُذْ زَاداً لِمَا يَكْفِيكَ يَا مَنْ
(تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدِ
وَلَهُ أَيْضاً:

سَوَادِ صِحَافٍ وَالْغَدَائِرُ بِيضُ
وَجِسْمٌ سَقِيمٌ ذَائِبٌ وَمَهِيضُ
بَغِيضُ ، وَمَا اللَّهْوُ فِيهِ بَغِيضُ
وَحُقُّ لِهَذَا أَنْ يُقَالَ مَرِيضُ

أَشَيْبٌ وَعَيْبٌ إِنَّ ذَا لَبَغِيضُ
مَكَاثِرَةٌ لِلَّهْوِ وَالضَّعْفُ زَائِدُ
إِذَا هَمَّ ذُو شَيْبٍ بِذَنْبٍ فَإِنَّهُ
مَرِيضٌ مِنَ الضَّعْفِ الَّذِي أَذْهَبَ الْقُوَى



الباب الخامس
في الموسم الخامس
وهو حال الهرم

في الحديث: «ابنُ الثَّمَانِينَ أَسِيرُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ»^(١).

ولم يَتَوَفَّ زَمَانَ الْهَرَمِ إِلَّا تَدَارَكَ مَا مَضَى، وَالِاسْتِغْفَارُ
وَالدَّعَاءُ عَمَلٌ مَا يُمْكِنُ مِنَ الْخَيْرِ اغْتِنَاماً لِلسَّاعَاتِ، وَالتَّأَهُبُ
لِلرَّحِيلِ.

وكان سريّ السَّقَطِي لا ينام إلا غلبة^(٢).

ودخلوا على أبي القاسم الجنيد - وهو في الموت،
وهو يركع ويسجد - ، فأراد أن يثني رجله في صلاته،
فما أمكن لخروج الروح منها، فقال له رجل: ما هذا

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (٣٥٨٩) من حديث عبد الله بن أبي بكر الصديق،
وإسناده ضعيف، وقال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (٢/٢٨٤): «في إسناده
من لا يعرف»، وأفاض الحافظ في ذكر طرق هذا الحديث - التي لا تزيد إلا
وهنا - في «معرفة الخصال المكفرة» (ص ٨٩ - ١١٨).

(٢) هو السَّرِيّ بن المُعَلِّس السَّقَطِيّ، كان أحد العباد، توفي سنة (٢٥٣هـ).

يا أبا القاسم؟ فقال: هذه نِعَمُ الله أكبر^(١).

وكان عامر بن عبد القيس يصلي كل يوم وليلة ألف ركعة، فلقيه رجل فقال: أكلمك كلمة. فقال: أمسك الشمس.

وقال لرجل سأله: اعجل فإني مبادر، قال: وما الذي تبادر؟ قال: خروج روعي^(٢).

وقال عثمان الباقلاني^(٣): أبغضُ الأشياءِ إليَّ وقتُ الفطر؛ لأنني أشتغل بالأعمال عن الذكر.

وكان داود الطائي^(٤) يشرب الفتيت، ولا يأكل الخبز، فقيل له في ذلك، فقال: بين شرب الفتيت ومضغ الخبز قراءة خمسين آية.

ودخل قوم على عابد يعودونه، فرأوه، فقالوا: لعلنا أشغلناك، فقال: أصدقكم؟ كنتُ أقرأ، فمنعتموني من وردي.

(١) «الحلية» لأبي نعيم (٢٨١/١٠).

(٢) «قصر الأمل» لابن أبي الدنيا (١٣٦).

(٣) هو عثمان بن عيسى الباقلاني، قال الخطيب البغدادي: كان أحد الزهاد المتعبدين، منقطعاً عن الخلق.

والخبر في «تاريخ بغداد» (٣١٣/١١).

(٤) هو داود بن نصير الطائي، أحد الزهاد، كان الإمام سفيان الثوري يعظمه، ويقول: أبصر داود أمره. «حلية الأولياء» (٣٣٥/٧ - ٣٦٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٤٢٢/٧).

والخبر في «تاريخ بغداد» (٣٥٣/٨).

ومن نظر في شرف العمر اغتنمه ، ففي الصحيح : «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ
اللَّهِ الْعَظِيمِ وَيَحْمَدِهِ ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ»^(١) .

وقال الحسن رحمه الله : الْجَنَّةُ قِيعَانٌ ، والملائكةُ تَغْرِسُ ، فربما
فتروا ، فيقال لهم : ما لكم فترتم؟ فيقولون : فترَّ صاحبنا ، فقال :
أمدُّوهم رحمكم الله .

وقد رأينا جماعة من الأسيخ يرتاحون إلى حضور الناس عندهم ،
وسماع الأحاديث التي لا تنفع ، فيمضي زمانهم في غير شيء ،
ولو فهموا ، كانت تسيحةً أصلح .

وهذا لا يكون إلا من الغفلة عن الآخرة ؛ لأنَّ بتسيحة
واحدة يحصل الثواب على ما ذكرناه ، والأحاديث الدنيوية
تؤذي ولا تنفع .

وكان أبو موسى الأشعري يصوم في الحرِّ ، فيقال له : أنت شيخ
كبير ، فقال : إني أعده لعسير طويل .

وقيل لعابد : ارفق بنفسك ، فقال : الرفق أطلب .

وقيل : جاء بعض أصحاب السَّري يزوره ، فوجد عنده جماعة ،
فقال : يا سريُّ ! صرت مناخاً للبطالين ، ثمَّ ذهب ولم يقعد .

فمن عرف شرف العمر وقيمته ، لم يفرط في لحظة منه .

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٦٤ ، ٣٤٦٥) ، وابن حبان (٨٣٢) ، والحاكم (٥٠١/١) ،
وهو حديث صحيح ، وليس في البخاري ومسلم .

فليُنظر الشاب في حراسة بضاعته، وليتَحَفَّظ الكهل بقدر
استطاعته، وليتزوَّد الشيخ للحاق بجماعته، وليُنظر الهرم أن يؤخذ في
ساعته، نفعنا الله وإياكم بعُلوِّنا، ولا سلِّبنا وإياكم فُهوِّمنا، ومتَّعنا
بأسماعنا وأبصارنا، ولا جعل علمنا حجةً علينا، إنه وليُّ ذلك
والقادر عليه.

نجز الكتاب، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيِّدنا محمَّد،
وعلى آله وصحبه وسلِّم.



رَوَايَةُ الْكِتَابِ وَالِاتِّصَالُ بِمُؤَلِّفِهِ

أروي هذا الجزء لابن الجوزي عن جمع من شيوخنا الأجلاء،

منهم:

المسند الجليل الشيخ أديب الخطباء أحمد نصيب المحاميد
الدمشقي إجازة، عن الشيخ محمد أبي الخير الميداني الدمشقي، عن
سليم المسوتي الدمشقي، عن أحمد مسلم الكُزْبِري، عن
عبد الرحمن بن محمد الكُزْبِري، عن أبيه محمد بن عبد الرحمن
الكُزْبِري، عن والده عبد الرحمن الكُزْبِري، عن أبي المواهب محمد بن
عبد الباقي الحنبلي، عن والده عبد الباقي بن عبد الباقي الحنبلي، عن
النَّجْم الغزِّي، عن والده البدر الغزِّي، عن شمس الدِّين ابن طولون، عن
يوسف بن حسن بن عبد الهادي الصالحي^(١) بقراءة هذه الرسالة عليه في
المدرسة الظاهرية عن أبي حفص عمر بن التَّقِيِّ الراميني، عن أبي بكر
محمد بن عبد الله بن المُحِب، عن القاضي سليمان بن حمزة المقدسي،
عن الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي.

ح قال ابن طولون: قال شيخنا ابن عبد الهادي: وأخبرنا به عالياً
جدي أحمد بن حسن بن عبد الهادي، أخبرنا الصَّلاح محمد بن
أحمد بن أبي عمر، أخبرنا الفخر علي بن البخاري السَّعدي قال: أنبأنا،
وقال الضياء: أخبرنا ابن الجوزي، مصنّف هذه الرسالة.



(١) هذا هو السند الذي ساقه ابن طولون فيما انتقاه من هذه الرسالة.

قراءة الكتاب

● انتهيتُ من مقابلته بمطبوعة الجوائب في المدرسة الجوزية التي أسَّسها محيي الدِّين يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي ابن مصنّف هذه الرسالة، يوم الاثنين، في الثامن من شعبان المكرم، سنة (١٤٢٣هـ).

وذلك بقراءة أخي الشيخ محمد مجير الخطيب بدمشق المحروسة قبليّ جامعا.

أعاد الله أيّامها المباركة، وعمرها بالعلم والعلماء.

● ثمّ انتهيتُ من مقابلته بأصله المخطوط من المكتبة العمرية، وذلك صبيحة يوم الثلاثاء، التاسع من شعبان المعظّم سنة (١٤٢٣هـ)، تحت ظل حائط المدرسة العمرية مقابلاً لبابها المقفل؟! أعاد الله لها أيّامها، وفتح أبوابها للطالبيين، وأقام فيها العلماء المهديين، ولا زالت منهلاً للواردين آمين.

وقد قابلها معي أيضاً أخي الشيخ الجليل محمد مجير الخطيب، والحمد لله ربّ العالمين.

إيه أحاديث نَعْمَانِ وسَاكِنِهِ
أَفْتَشُّ الرِّيحَ عَنْكُمْ كُلَّمَا نَفَحَتْ
إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْأَحْبَابِ أَسْمَارُ
مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ نِكْبَاءُ مِعْطَارُ

محمد ناصر البهجة

الفهارس

- * فهرس الآيات القرآنية .
- * فهرس الأحاديث النبوية .
- * فهرس الأعلام .
- * المحتوى .

فهرس الآيات القرآنية

الآية / رقمها	السورة	الصفحة
﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ / ٧٩	الأنعام	٤١
﴿قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ / ٣٠	النور	٤٨
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ / ٥١	الأنبياء	٤١
﴿هَذَا يَوْمُكُمْ﴾ / ١٠٣	الأنبياء	٤٩
﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ / ٩	الزمر	٥٤
﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي﴾ / ٥٦	الزمر	٥٠
﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ / ٦	التحريم	٣٩
﴿وَلَنْ عَلَيْكُمْ لِحُفُوظِينَ ﴿١١﴾ كِرَامًا كَثِيرِينَ ﴿١٢﴾ يَعْمُونَ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ / ١٢-١٠	الانفطار	٤٧



فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحديث
٥٣	أبغض الخلق إلى الله شيخ زان
٥٩	ابن الثمانين أسير الله في أرضه
٤٦	أيها الشاب التارك شهوته من أجلي (حديث قدسي)
٣٩	التعليم في الصغر كالنقش في الحجر
٤٥	عجب ربك من شاب ليس له صبوة
٤٣	من بلغ له ولد، وأمكته أن يزوجه فلم يفعل
٦١	من قال سبحان الله وبحمده
٤٨	النظر إلى محاسن المرأة



فهرس الأعلام^(١)

الاسم	الصفحة
إبراهيم الحربي	٤٣
أحمد بن حنبل	٤٤
أحمد بن رؤبة	٥١
أويس القرني	٦١، ٦٠
أبو بكر بن عياش	٤٩
الجنيد النهاوندي	٥٩، ٤٩
الحسن البصري	٦١
أبو الدرداء	٥٦
داود الطائي	٦٠
سري السقطي	٦١، ٥٩
الشافعي، محمد بن إدريس	٥١
عامر بن عبد القيس	٦٠
عبد الله بن الزبير	٤١
عبد الملك بن مروان	٤٠

(١) الذين وردوا في أصل الرسالة.

الاسم	الصفحة
عثمان الباقلاني	٦٠
علي بن أبي طالب	٣٩
عمر بن الخطاب	٤١
الفضيل بن عياض	٥٥
محمد بن الفضل	٤٧
منصور بن عمّار	٥٥
أبو موسى الأشعري	٦١
هارون الرشيد	٤١
الوليد بن عبد الملك	٤٠
يحيى بن أكثم	٥٥
يوسف عليه السلام	٤٥



المحتوى

الصفحة	الموضوع
٥	ابن الجوزي زينة الواعظين ودرّة الناصحين
٦	سياق كلام الأئمة في بيان مكانة ابن الجوزي في الوعظ تسجيل الرحالة ابن جبير الأندلسي لمجلس ابن الجوزي
٧	ووصفه الدقيق له
١٢	مواهب ابن الجوزي في الوعظ
١٥	قبسات لامعة وكلمات جامعة من لطائف مواعظ ابن الجوزي
٢١	خاتمة في ذكر الواعظ الذي زار بغداد وشعر ابن الجوزي في ذلك
٢٢	وصف النسخ المعتمدة في التحقيق
٢٥	نماذج من صور المخطوطات المعتمدة في التحقيق
الكتاب محققاً	
٣٥	مقدمة المؤلف
٣٧	باب: ذكر مواسم العمر
٣٧	تقسيم المؤلف لمواسم العمر إلى خمسة:
٣٩	الباب الأول: في ذكر الموسم الأول
٤١	فصل في أن الصغير قد يرزق ذهنأ من صغره
٤٣	فصل: إذا راهق الصبي

٤٥	الباب الثاني: الموسم الثاني وهو زمان البلوغ إلى منتهى الشباب
٤٧	فصل: وليعلم البالغ أنه... وجب عليه
٤٨	فائدة
٤٩	قول للمصنف في وعظ الشباب
٥٠	شعر للمصنف في الشباب
٥١	الباب الثالث: في الموسم الثالث وهو حال الكهولة
٥١	شعر للمصنف في الكهولة
٥٣	الباب الرابع، وهو الشيخوخة
٥٤	من مخاطر الشيخوخة
٥٦	شعر للمصنف في الشيب
٥٩	الباب الخامس، وهو حال الهرم
٦٢	آخر الكتاب
٦٣	نموذج من خط ابن الجوزي وذلك من نسخة لكتاب أدب الكاتب
٦٤	رواية الكتاب والاتصال بمؤلفه
٦٥	قيد قراءة الكتاب
٦٧	فهارس الكتاب:
٦٩	* فهرس الآيات القرآنية
٧٠	* فهرس الأحاديث النبوية
٧١	* فهرس الأعلام
٧٣	* فهرس المحتوى



من آثار الحقّة

- ١ - فضل علم السلف على علم الخلف: للحافظ زين الدّين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان ١٤١٦هـ، (ثم أعيد طبعه سنة ١٤٢٤هـ).
- ٢ - نور الاقتباس في مشكاة وصيّة النبي ﷺ لابن عباس: للحافظ ابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان ١٤١٤هـ، (ثم أعيد طبعه سنة ١٤٢٤هـ).
- ٣ - تفسير سورة الإخلاص: لابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان ١٤٢١هـ.
- ٤ - تفسير سورة النصر: للحافظ ابن رجب الحنبلي، المتوفى سنة ٧٩٥هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان ١٤٢١هـ.
- ٥ - زغل العلم: للحافظ شمس الدّين الذهبي، المتوفى سنة ٧٤٨هـ، مكتبة الصحوة الإسلامية، الكويت ١٤٠٤هـ.
- ٦ - تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في منهاج البيضاوي: للحافظ العراقي، المتوفى سنة ٨٠٦هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان ١٤٠٩هـ.
- ٧ - التنقيح في حديث التسييح (شرح حديث: كلمتان حبيبتان إلى الرحمن): للحافظ ابن ناصر الدّين الدّمشقي، المتوفى سنة ٨٤٢هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان ١٤١٣هـ.
- ٨ - تحفة الإخباري بترجمة البخاري: للحافظ ابن ناصر الدّين الدّمشقي، المتوفى سنة ٨٤٢هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان ١٤١٣هـ.

- ٩ - كتاب الأربعين: للحسن بن سفيان، المتوفى سنة ٣٠٣هـ، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان ١٤١٤هـ.
- ١٠ - صفحات في ترجمة الإمام السفاريني: (تأليف)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان ١٤١٣هـ.
- ١١ - علامة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيان حياته وآثاره: (تأليف)، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت ١٤١٥هـ.
- ١٢ - ثلاث تراجم نفيسة للمحافظ الذهبي: المتوفى سنة ٧٤٨هـ، دار ابن الأثير، الكويت ١٤١٥هـ.
- ١٣ - الخطب المنبرية: للعلامة عبد الله بن خلف بن دحيان، بيت التمويل الكويتي، الكويت ١٤١٦هـ.
- ١٤ - نوادر مخطوطات علامة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيان: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت ١٤١٦هـ.
- ١٥ - أخصر المختصرات: للبلباني مع حاشيته، لابن بدران، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان ١٤١٦هـ.
- ١٦ - مشيخة فخر الدين ابن البخاري: المتوفى سنة ٦٩٠هـ، (عناية وفهرسة للأحاديث)، الكويت - الأمانة العامة للأوقاف ١٤١٦هـ.
- ١٧ - أضواء على الحجج الوقفية الأصلية في الأمانة للأوقاف: (إعداد)، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت ١٤١٦هـ.
- ١٨ - روضة الأرواح: لعبد القادر بن بدران الدمشقي، الكويت - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٤١٧هـ.
- ١٩ - درة الغواص في حكم الذكاة بالرصاص: لابن بدران الدمشقي، مطبوعة مع الرسالة السابقة.
- ٢٠ - علامة الشام عبد القادر بن بدران الدمشقي حياته وآثاره: (تأليف)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان ١٤١٧هـ.
- ٢١ - حياة العلامة أحمد تيمور ياشا: بقلم محمد كردعلي وبعض معاصريه، (جمع وعناية)، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت ١٤١٧هـ.

- ٢٢- سير الحاتّ إلى علم الطلاق الثلاث: لابن عبد الهادي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان ١٤١٧هـ.
- ٢٣- بداية العابد وكفاية الزاهد: للعلامة عبد الرحمن البعلي الحنبلي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان ١٤١٧هـ.
- ٢٤- الألفية في الآداب الشرعية: لابن عبد القوي، (عناية وضبط)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان ١٤١٨هـ.
- ٢٥- نتيجة الفكر فيمن درّس تحت قبة النّسر: للعلامة عبد الرزاق بن حسن البيطار، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان ١٤١٩هـ.
- ٢٦- مختصر الإفادات في ربع العبادات والآداب وزيادات: للإمام محمد بن بدر الدين بن بلبان الدمشقي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان ١٤١٩هـ.
- ٢٧- ثبت مفتي الحنابلة بدمشق الشيخ عبد القادر التغلبي: تخريج تلميذه مفتي الشافعية محمد بن عبد الرحمن الغزّي، (عناية)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان ١٤١٩هـ.
- ٢٨- آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل: (تأليف)، دار البشائر الإسلامية - بيروت، لبنان ١٤٢٠هـ.
- ٢٩- تعليق لطيف على آخر حديث في رياض الصالحين: للعلامة قاسم بن صالح القاسمي (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان ١٤٢٠هـ.
- ٣٠- مفتاح طريق الأولياء: لابن شيخ الحزّامين أحمد بن إبراهيم، (عناية وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان ١٤٢٠هـ.
- ٣١- نبذة لطيفة ونصيحة شريفة: للشيخ حسن بن أحمد سبط الدسوقي، مطبوعة مع الرسالة السابقة.
- ٣٢- الوعظ المطلوب من قوت القلوب: للعلامة جمال الدين القاسمي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ.
- ٣٣- العروس المجلية في أسانيد الحديث المسلسل بالأولية: لصفى الدين البخاري، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ.

- ٣٤- إرشاد العباد في فضل الجهاد: لحسن بن إبراهيم البيطار، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ.
- ٣٥- سر الاستغفار عقب الصلوات: للعلامة جمال الدين القاسمي، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ.
- ٣٦- ثمرة التسارع إلى الحب في الله وترك التقاطع: للعلامة القاسمي، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ.
- ٣٧- أديب علماء الشام الشيخ عبد الرزاق البيطار: (تأليف)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ.
- ٣٨- بلوغ القاصد جلّ المقاصد لشرح بداية العابد وكفاية الزاهد: للعلامة عبد الرحمن البعلي الحنبلي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ١٤٢١هـ.
- ٣٩- إجازة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ: للشيخ أحمد بن عيسى والشيخ راشد بن عيسى، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ١٤٢٢هـ.
- ٤٠- كشف المخدّرات لشرح أخصر المختصرات: للعلامة عبد الرحمن البعلي الحنبلي، (تحقيق وتعليق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ.
- ٤١- تفريج الكروب في تعزيل الدُّروب: للعلامة عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود الحنبلي، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ١٤٢٣هـ.
- ٤٢- مأخذ العلم: لأحمد بن فارس اللغوي، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ.
- ٤٣- إجازة مفتي الشافعية بدمشق محمد بن عبد الرحمن الغزّي: للشيخ علي بن مصطفى الدبّاغ، (تحقيق)، دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ١٤٢٥هـ.

من إصدارات المحقق الجديدة
سلسلة الكتب والأجزاء المقروءة
في جوامع ودور الحديث بدمشق

- ٤٤ - (١) كتاب الأوائل: لابن أبي عاصم.
- ٤٥ - (٢) الأربعمون الأبدال العوالي المسموعة بالجامع الأموي بدمشق: للحافظ ابن عساكر.
- ٤٦ - (٣) تنبيه النائم الغمر على مواسم الغمر: لابن الجوزي.
- ٤٧ - (٤) حفظ العمر: لابن الجوزي أيضاً.
- ٤٨ - (٥) ثبت الإمام السفاريني الحنبلي وإجازاته لطائفة من أعيان علماء عصره.
- ٤٩ - (٦) مشيخة ابن إمام الصخرة: تخريج ابن رافع السلامي.
- ٥٠ - (٧) ثبت مسند عصره شمس الدين البابلي، المسمّى: منتخب الأسانيد: لأبي مهدي الثعالبي.
- ٥١ - (٨) ومعه المربى الكابلي فيمن روى عن الشمس البابلي: للزبيدي.
- ٥٢ - (٩) ستة مجالس من أمالي أبي يعلى الفراء.
- ٥٣ - (١٠) جزء فيه سبعة مجالس: لأبي طاهر المخلص.
- ٥٤ - (١١) الأحاديث المسموعة في جوامع دمشق وضواحيها: لشمس الدين ابن طولون الدمشقي.
- هذه السلسلة من إصدارات دار البشائر الإسلامية ببيروت، ودار الصديق بدمشق.



الكتب والله عز وجل في معرفة
في جملة مع ودور الطبرين برسوق
دار الخلد في السنة قتيلا لبرانية

حفظ العظمى

تأليف

زينة الواعظين ودرة الناصحين

الإمام عبد الرحمن بن الجوزي

(٥٠٨ - ٥٩٧ هـ)

تحقيق وتعليق

محمد زينة العجمي

دار النشر الإسلامية